سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ (٤)

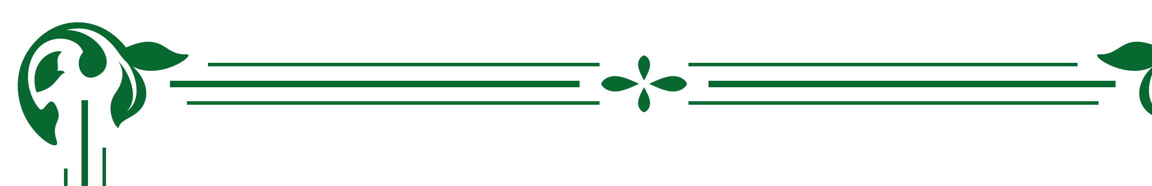


لفضيلة الشيخ الدكتور
سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين





الشيخ لم يراجع التفريغ







للإعــلام بالأخطاء الطباعيــة والاستدراكـات
والاقتراحات يرجى المراسلة على البريد التالي:

shadharat42@gmail.com

shadharat٤٢ shad_harat٤٢

+213673511001









في حياة المسلم

لفضيلة الشيخ الدكتور
سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى



الحمد لله ربِّ العالمين،

نحمده جَلَّ وَعَلَا أن أنزل إلينا القرآن العظيم، فكان من أسباب الخير والصلاح واستقامة الأمور والهداية إلى الحق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أمَّا بعدُ:

❁ **فهنيئا لنا أن نجتمع اليوم لنتدارس شيئًا من أمور القرآن العظيم، هذا الكتاب الذي غيَّر الله به مجرى الحياة**، هذا الكتاب الذي هو أهم كتاب على الأرض، يحفظه الملايين بما لا يوجد واحد في المئة من العناية لغيره من الكتب، هذا الكتاب الذي هو أكثر الكتب طباعةً، كيف لا وهو كلام الله الذي تكلم به حقيقة، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، أين كلام الله الذي يسمع هو ما في هذا القرآن، ولذلك فالقرآن العظيم الذي هو كلام الله هو المكتوب في المصاحف، المتلو بالألسن، المحفوظ في الصدور بعينه.

هذا الكتاب العظيم له أثره في حياة الناس فهو الذي جعله الله سببًا من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة كما قال تعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء: ٩].

❍ مســألـةٌ: إذا تقرر هذا فما هي مزايا هذا الكتاب؟ وما هي الأثار العظيمة المرتبة عليه؟

❁ هناك العديد من الأثار التي تحصل بمدارسة هذا الكتاب، وبالاعتماد عليه:

فأول تلك الأثار تغير حياة الإنسان في الكلية، فبدل أن يكون ظالمًا جهولًا يكون عادلاً عالمًا، وبدلًا أن يستولي على حقوق الخلق يصبح ممن يسعى إلى إيصال الخير لهم، ويكون سببًا من أسباب تآلف الناس واجتماع كلمتهم بدل أن يكون عاملًا في تفريق الناس وزرع العداوة فيما بينهم.

هذا الكتاب الذي نجد أن العديد من الدساتير اعتمدت عليه، وهذا الكتاب الذي لا زالت عجائبه تترا لا تنقضي.

هذا الكتاب الذي كلما قرأه الإنسان وجد فيه من العلم ما لم يكن قد أدركه في قراءته السابقة.

هذا الكتاب الذي يستفيد الإنسان منه في تغيير حياته وفي جعلها على أفضل منهج وأحسن طريقة.

هذا الكتاب يقرأه الذي المسلمون، يحفظه الصبيان، ويقرأه المسلمون في صلواتهم ويختمونه في رمضان بقراءة على نية يستمع إليها الناس في مساجد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

هذا القرآن الذي يُيَسَّر للناس ويتمكنون من حفظه ومن تلاوته كما قال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧].

❁ ما هي أثار هذا القرآن؟

❁ **أولا: هذا القرآن يزيد في رُسوخ النَّفس البشــرية وطمأنينتها**؛ فإن التالي لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، والمطالع لما فيه يجد من الطمأنينة والسـكينة ما يكون سببًا من أسباب استقرار حياته، ومن أسباب إقدامه على ما يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة، كما قال تعالَى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨]، فطمأنينة النفس واستقرارها يحصل بتلاوة كتاب الله جَلَّ وَعَلَا.

انظر مثلًا عندما تتوالى المصائب على الإنسان، تأتيه لحظات يسأم من الحياة ويمل منها، وبالتالي يُريد مفارقتها، فإذا عاد إلى كتاب الله وجد أن هذه المصـائب في مصـلحته، وأنها تعود عليه بالخير، وأنه لا مفر منها، وبالتالي تطمئن النفس كما قال تعالَى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة: ٥١]، وكما قال تعالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

فالقرآن أثره عظيم في جعل النفوس على أحسـن حال وأفضـل صـفة، وهكذا إذا استشعر الإنسـان الآيات القرآنية التي تذكره بسنن الله في الكون فإن ذلك يجعله ممن تطمئن نفسـه، وأعطيكم على ذلك مثلًا، تأتي النفس البشـرية وتُشـاهد ما ينقل في وسـائل الإعلام من الأخبار التي تجعل بعض

النفوس تيأس وتضعف فإذا رجع إلى كتاب الله فإذا في الكتاب الوعد الصادق من الله جَلَّ وَعَلَا بأحسن الأمور وأفضل النتائج لأهل الإيمان حينئذ تسعد النفس البشرية وترتاح لوعد الله عَزَّ وَجَلَّ، من كان عنده فقر فرجع إلى قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣]، حينئذ تتغير نفسه ويبدأ تغيير حياته ليجعلها سائرة على ما يحقق أمر الله جَلَّ وَعَلَا، ومن ثَمَّ يوالي الله الخيرات على العبد، عندما يستمع الإنسان لبعض المكائد والمؤامرات التي يكاد بها أهل الإسلام، فيرجع إلى كتاب الله ويُشاهد آيات القرآنية التي تتحدث عن نصر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لأهل الإيمان، وبيان أن النصر بيد الله كما أن الرزق بيده، فكما قال تَعالَى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦]، وقال: ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ﴾ [سبأ: ٣٩]، قال: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وقد وعد الله المؤمنين عند نصرهم لدينه بأن ينصرهم، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد: ٧]، وكما قال تَعالَى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١﴾ [غافر: ٥١]، وكما قال تَعالَى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝١٧٣﴾ [الصافات: ١٧١ – ١٧٣]، وكما قال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ

ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧]، وكما قال: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨]، فهذه وعود من مدبر الكون، من خالق السماوات والأراضين.

هل يطرأ علينا أدنى شك بالنسبة لهذه الوعود؟، هل الله عاجز عن تنفيذها؟ هل الله سيخلف وعده الذي وعد به في هذه الآيات؟

لا والله، ولذلك إذا نظر الإنسان إلى مجاري التاريخ علم أن وعد الله حق، انظر مثلًا في أول بعثة النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، عدد أهل الإسلام قلائل كعدد أصابع اليد فأقل، الناس معرضون عن هذا الدين غير آبهين له، ثمَّ كان منهم أن وقفوا في وجه هذه الدعوة وصدوا الناس عنها، وسعوا إلى تعذيب أهل الإيمان بأنواع التعذيب، لو اطلعت على ذلك الحال ونظرت إليه نظرة أولية لكان حكمك بأن هذا الدين لن يستمر، وهذه الرسالة لن يستجيب لها أحد غير هؤلاء ويُمكن أن يعود هؤلاء إلى دينهم السابق، هذا بالنظرة الأولية كيف وقد حصروا أهل الإسلام في الشِعْب، الشِعب **معناه**: أنهم عدد قليل، ثمَّ بعد ذلك تآمروا على قتل النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فجمعوا مئة شاب من قبائل شتى ليضيع دمه بين القبائل، فلا يوجد من يُطالب بالثأر منه بسبب ذلك.

فالموازين البشرية تقول انتهى الموضوع سيقتلونه وسينتهي دين الإسلام، يخرجه الله من بينهم ولا يتمكنون من رؤيته، ويأتي في الغار فيتعادى أهل مكة عليه من أجل الإمساك به حتى يصلوا إلى الغار فيقول أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: لو رأى أحدهم إلى قدميه لرآنا، وانظروا التصوير القرآني لهذه الحادثة في آيتين من كتاب الله:

الأولى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، يُثبتوك **يعني**: يسجنونك، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٣٠﴾، يمكرون **يعني**: يدبرون تدابير خفية، هذا معنى المكر.

والآية الثانية: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، ما العاقبة؟ ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠].

إذن: هذه الآيات تبعث الطمأنينة في النفس البشرية، وازن بين حال أهل الإسلام في يومنا بما أتاهم الله من الإمكانات وما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه في الزَّمان الأول، لم يكن لديهم مسجد، ليس لديهم مدرسة، ليس عندهم أموال طائلة، ليس لديهم تجارات، لم ينتشروا في أقطار الأرض، ومن ثَمَّ نعلم بأن مطالع الآيات القرآنية ترتاح نفسه.

وانظر مثلًا في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [المائدة: ١١]، وانظر لقوله عَزَّ وَجَلَّ في وصف حالة أهل الإيمان بوصف الناس في ذلك الزمان عندما جاء أهل الأحزاب، ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ [الأحزاب: ١٠ – ١١]، ما رأيك؟، وصلت إلى هذه الحالة؟ فما هي إلا أيام ويُغيِّر الله الحال.

۞ **ثانيا: جاء في عدد من الآيات أيضًا ما يجعل حياة الأسرة على أكمل الوجوه وأتمها**، فانظر إلى الآيات القرآنية التي تُؤكد على حق كل واحد من الزوج على صاحبه، وانظر مثلًا في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ١٩﴾ [النساء: ١٩]، وانظر لقوله: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤]، منهج يصحح الحياة الأسرية ويجعل كل واحد من الزوجين سعيدًا في حياته مسعدًا لصاحبه.

۞ **ثالثا: بنى هذه النفس البشرية على أمور تنعكس على حياة الإنسان، مِن مثل أمر الله بأن يخاف منه سبحانه**، وبأن يستعد ليوم القيامة، وبأن نستشعر أن الله يراقبنا عندما يكون الإنسان خائفًا من الله لن يقدم على معصية، لن يقدم على أذية للخلق، إذا كانت المرأة تخاف من الله في زوجها ستكون معه على أفضل الأخلاق وأحسن حال، وهكذا الزوج، وكيف لا نخاف من الله ونحن نجزم تمام الجزم بأن الله قادر علينا؟ ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾.

يوم جاءكم فيروس كورونا أدخلكم في جحوركم وفي بيوتكم، انظر قدرة الله عليك، وانظر قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليك في هذا الهواء الذي تتنفسه، يأتي هذا الفيروس ويعجزك عن إدخال الهواء إلى جوفك، أليس الله قادر

علينا؟ حينئذ كيف لا نخاف من الله وهذه قدرته علينا؟، وكيف لا نخاف من الله ونحن نشاهد العقوبات العظيمة التي ينزلها بأمم كاملة فضلًا عن الأفراد؟ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر: ٦ – ١٤]، لمَّا ذكر الله جَلَّ وَعَلَا الأمم السابقة وما نزل بهم من العقوبات قال: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ۝٤٣﴾ [القمر: ٤٣].

إذن: الذي يقدر على إنزال العقوبات بمن سبق قادر على أن ينزل العقوبات بمن حضر.

ولذلك لمَّا ذكر الله جَلَّ وَعَلَا حادثة بني النظير يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين كانوا يظنون أن حصونهم مانعتهم من الله فأتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ثمَّ قال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ۝٢﴾ [الحشر: ٢]، تعتبروا **يعني**: خذوا عبرة منهم فالذي أنزل بهم العقوبة قادر على أن ينزل بكم العقوبة، تقول: عبر الطريق **يعني**: انتقل من مكان إلى مكان، كأنه يقول بذهنك من حال هؤلاء إلى حالك، ولذلك لا تأمن من نزول عقوبة الله بك، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ۝٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩].

وانظر للآيات القرآنية التي تحذر من نزول عقوبة الله، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرۡيَةً كَانَتۡ ءَامِنَةً مُّطۡمَئِنَّةً يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾ [النحل: ١١٢]، لا نأمن أن تنزل بنا العقوبة، ولذلك نخاف من الله جَلَّ وَعَلَا.

ثمَّ كيف لا نخاف من الله ونحن عمَّا قريب سنقف بين يديه فيحاسبنا على أعمالنا؟ فريق في الجنة وفريق في السعير، سنمر بين يدي جهنم على الجسر، وبالتالي نعد لذلك الموقف عدته بالخوف من الله ومن خاف بلغ المنزل، كما قال النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةَ**».

فإذا كان كل واحد من الزوجين يستشعر الخوف من الله، ما رأيكم يخاف من الله في صاحبه، حينئذ سيعيشون عيشة هنية في الدنيا مع ما ينتظره من الأجر والثواب في الآخرة.

وهكذا فيما يتعلق علاقة المجتمع بعضه مع بعض، علاقة القرابة، هل تتصور أن عاقل يقرأ الآيات التي وردت في التحذير من قطيعة الرحم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾ [محمد: ٢٣]، هل تتوقع الذي يقرأ هذه الآية ورتبت على أولئك الذين يقطعون أرحامهم تتوقع أنه لن يهتز ضميره ولن تحرك هذه الآيات ليترك هذا الذنب العظيم قطيعة الرحم، ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾ [محمد: ٢٢ – ٢٣].

وإذا قرأ الإنسان آيات أهل التقوى وأن الله أعد لهم الجنان، ثمَّ وجد من صفاتهم: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٧]، حينئذ هل سيتوقف عن مناصرة قرابته والإحسان إليهم من أجل أن ينال أجر المتقين ويكون من أهل الجنان؟

ولذلك كان للقرآن أثره العظيم في تربية النفوس على الأخلاق الفاضلة، لمَّا ذكر الله جَلَّ وَعَلَا نبيَّه في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤]، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**»، ولذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ومن هنا فالقرآن يربي النُّفوس على أفضل الأخلاق، وبالتالي تصلح أحوال المجتمعات ويتآلف الناس، تجده أطيب الناس لفظًا وقولًا، لماذا؟؛ لأنه يسمع قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣]، ويسمع قوله سبحانه: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، ثُمَّ تجده ذلك الرجل المعطاء البادر للخير، كيف لا؟ وهو يستمع لآيات القرآن: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١]، وهو يسمع قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩]، وكيف لا يكون على أحسن الأخلاق وهو يعلم أن الله مطلع عليه؟، وأن الملائكة يسجلون كل ما يصدر منه، ألم يقل الله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾

[ق: ١٨]، ألم يقل رب العزة والجلال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ١٢ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ١٦﴾ [الانفطار: ١٠ – ١٦]، هذه الآيات ألا تهز النفوس وتحركها وتغير صفات الإنسان؟ ثُمَّ انظر لآيات كتاب الله التي تجعل الإنسان يمسك نفسه عند ورود ما يحركها ويغيرها؛ فإن «**الشَّدِيدَ لَيْسَ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ مَنْ يُمْسِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»، ولذا أمر الله جَلَّ وَعَلَا مقابلة الإساءة بالإحسان، قال: فلان يتكلم فيك، الله يبيحه ويحلله، لماذا؟ ابحث ما عند الله، كما قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ٣٤﴾ [فصلت: ٣٤]، -يوم جا في الشارع ولف عليه وحدَّه، ما قال أوريك فيه وروح أحدَّه، ثم لا تدري وش اصير عقبها يمكن يأدي إلى سفك دم، صد وراح من جهة ثانية وخلاه اروح، عود عليه على ما يقولون أحاشه يستفزه قال له الله اسامحك الله اسامحك قال أنت غلطان علي قال اسمح لي أعذرني في خطئي خلاص إنتهى الموضوع ليش؟-، مشى على تعليمات القرآن، سار عليها، لم يبتدأ بالأذى أصلًا، ولمَّا وصله الأذى تحمله وتجاوز الموقف، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾ [المؤمنون: ٩٦]، سيئة **يعني**: التصرف السيء الذي يصل إليك ادفعه، **يعني**: أبعده عن نفسك بالتي هي أحسن، بأحسن التعاملات، ما قال بالحسنى، قال: بالتي هي أحسن **يعني**: أفضل شيء.

أما أثر كتاب الله في إيصـــال الحقوق لأصـــحابها فأثر عظيم في القرآن من المواعظ ما يحرك النفوس.

۞ رابعا: ولكتاب الله آثار أخرى على الإنسان، أعطيكم نماذج:

❁ **النموذج الأول:** في عقلية الإنســان وفكره؛ جاءت الآيات القرآنية مرة تدعو الناس إلى التدبر في الكون والتأمل في الآيات العظيمة فيه بما يزيد فكر الإنســـان، كما قال تَعالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤]، كـل لفظـة من هـذه اللفظات تجعلك تفكر ســاعات بالأيام والشــهور، الســحاب الذي يُســاق إليك من البلدان البعيدة، ثُمَّ ينزل المياه التي تعيد الحياة إلى الأرض، آية عظيمة، تفكر، هذه آية واحدة، والآيات التي تدعو إلى التدبر والتأمل والتفكر كثيرة.

ثمَّ انظر إلى الآيات التي في كتاب الله تسهل وتنظم عملية التفكير العقلي، انظر في قضـــية إثبات المعاد، قال تَعالَى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس: ٧٨]، انظر لهاته الشـــبهة، هذه يمكن لو يأتي بها أحد في عصـرنا الحاضـر يمكن ينخدع بها بعض الناس، أحضـر عظم ويفتته، يقول: هذا معقول يحييه؟، شباب اليوم عندهم عقل.

انظر الدليل الأول: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾، أنـت مـاذا كنت؟ ﴿مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [القيامة: ٣٧]، ﴿مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [المرسلات: ٢٠]، وبعد ذلك أصبحت رجلًا كبيرًا،

لك بأس، ولك أمر، ولك نهي، فكر، دليل عظيم، حجة كبيرة في لفظين، ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا﴾ [يس: ٧٩ – ٨٠]، ثمَّ أحضر لك التذكير بخلق السماوات والأراضين، آيات عظيمة، فهذه تدرب الذهن على الحجاج والاستدلال، وتعلمه كيف يواجه الشبهات، ولذلك أعظم طريقة لدعوة الخلق هي الرجوع للقرآن، فيه الحجج المقنعة والأدلة والبراهين في جميع القضايا التي يحتاج إليها الناس، ولذا قال تعالَى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩] **يعني**: بالقرآن، فهذا القرآن يزيد في عقل الإنسان.

ثُمَّ انظر لما فيه من التجارب التي مرت على البشرية من حوادث الأمم السابقة، تدريب **يعني**: مثلًا لمَّا تقرأ قصة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ومواجهته لقومه أو قصة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حينما واجه طاغية الأرض في زمانه فرعون، ما تتعلم منهم الشجاعة؟ ما تتعلم منهم الصدع بالحق وإرشاد الخلق؟ ما تتعلم منهم الاستنصار بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؟ ومن كان مع الله كان الله معه، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ**»، ألم يقل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨]، "مع" معناه: معية، نصر وتأييد، اترك الأمور كلها معه، حتى ولو كنت وحيدًا، ما دمت مع الله فحينئذ الدنيا كلها يجعلها الله تسير إلى نصرتك، انتظر فقط، ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ١٧﴾ [الطارق: ١٥ – ١٧].

ثمَّ هذا الكتاب يمكِّن الإنسان من ترتيب كلامه، وتصفية ألفاظه، يعلمك كيف تختصر المعاني الكبيرة الكثيرة في الألفاظ القليلة الوجيزة،

وانظر لهاته الآيات القرآنية التي فيها ألفاظ وحروف يسيرة تشتمل على المعاني الكثيرة.

انظر مثلًا في سورة الفاتحة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة: ٢]، جملة واحدة، إثبات أن أوصاف الكمال ثابتة لله جَلَّ وَعَلَا، وإثبات أنه المستحق للحمد الذي لا يتطرق إليه نقص من أي جهة، وإثبات أن الله هو المتولي للخلق وهو الذي يقوم بحوائجهم، "رب" **يعني**: يربيهم بصنوف النعم، وأن الله هو المنعم المتفضل، والإشارة إلى العوالم التي في الكون، بعض الناس يفهم فهم خاطئ يظن أن رب العالمين **يعني**: الإنس والجن، غلط، العالمين جمع عالَم، **يعني**: لو أراد الجن والإنس لقال: العالَمَين؛ إنما قال: العالَمِين **تعني**: جميع العوالم التي في الأرض، الحشرات، الحيوانات، الأسماك، الأشجار، هذا كل واحد منها عالَم، فانظر لهذه اللفظة، وهكذا بقية الآيات التي اشتملت عليها هذه السورة.

ولذلك المرتبط بالقرآن يكون عنده من الفصاحة والبلاغة الشيء الكثير، ليست فصاحة التقعر وإنما فصاحة البيان، بحيث يتمكن من إيصال المعاني العظيمة على طريقة مقنعة يستجيب الناس لها، أليس القرآن هو الكتاب الفصيح كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣﴾ [الزخرف: ٣]، في الآية الأخرى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ [يوسف: ٢]، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٥].

❁ **هذا الكتاب له أثره أيضًا في جعل الإنسان تتغير مبادئه وتصوراته إلى ما هو أحسن وأفضل**، ولذلك شواهد التاريخ حاضرة، كان العرب قبل البعثة يعيشون على السلب والنهب، ليس لديهم حضارة مستقرة، لم تتركهم الدول إلَّا زهدًا فيهم ورغبة عنهم.

أنزل الله الكتاب على نبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتغيرت الأحوال، ذلك العربي الجافي الغليظ أصبح رحيمًا، رؤوفًا، ودودًا، ذلك الذي يقتل أولاده ويئد بناته أصبح رحيمًا يرحم هؤلاء الصبية، ويقوم معهم ويحسن التعامل معهم، ولذا غيَّر الله أحوالهم، بدل الفقر أصبح عندهم غنى، وبدل الذلة أصبح عندهم عز، وبدل الهزيمة والتَّفرق أصبح عندهم الاجتماع والتآلف، كما قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والآية الثانية: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال: ٢٦]، في الأول كانوا يطبخون الدمن كي يأكلون، يطبخون الجلود، فتغيرت أحوالهم، جاءت سفانة بنت حاتم الطائي وقد أخذها أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسيرة، فوقفت وقالت للنبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكلمات العظيمة: مات الوالد وغاب الوافد، ثُمَّ ذكرت من صفات أبيها في الكرم، فأطلقها النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذهبت لأخيها عدي قالت: أين أنت؟ لا تترك حظك مع هذا الرجل، أسلِم، جاء إلى النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان

أرثوذكسيًا، مذهب من مذاهب النصارى، فجاء رجل للنبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشتكي من الخوف وعدم الأمن، فقال النبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى تَسِيرَ الظَّعِينَةُ مِنَ الْحِيرَةِ إِلَى مَكَّةَ لَا تَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهَا**»، كلام غير معقول في الذهن البشري المجرد، يقول عدي: «**أين دُعَّارُ طَيِّءٍ؟**»، عدي بن حاتم من قبيلة طي، يقول: جماعتنا أعرفهم لا يتركون أحد، ليس من المعقول يتركون المرأة لحالها، تأتي ولا يسرقونها، ما أخذ إلَّا سنوات قلائل فإذا به يشاهد الأمن.

وإذا ضرب الإنسان المثل بهذه البلاد كان مثلًا، كان الناس في هذه البلاد لا يجدون الدَّقل، رديء التمر الذي يملأ بطونهم، وكان عندهم من القتال من أجل أشياء بسيطة، من أجل الماء، كل منهم يتنازع، كم من دم سفك بسبب قربة ماء، انظروا كيف غيَّر الله أحوالنا، أعطانا الله هذه الدولة، تآلف الناس واجتمعوا وأصبحوا جيران وأنساب، كل منهم حريص يعزم رفيقه، من قبل كان يود أن يأخذ دراهمه، والحين يريد أن يقدم له دراهمه بالكرامة، كيف غيَّر الله الأحوال؟، في الأول كان فيه من الخوف وأصبح عندنا من الأمن.

انظر الرفاهية في المعيشة في كثير من أمورنا، كثير ممَّا لديكم، والله لا يجده سكان الدول العظمى، ولذلك علينا أن نستشعر نعمة الله عَزَّ وَجَلَّ علينا، وأن نشكره، والله وعد الشاكرين بالمزيد، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

كأنه نزل فيكم قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش: ٣ – ٤]، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ﴾ [النور: ٥٥].

كأنه قد نزل فينا قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج: ٤٠ – ٤١].

فيه وعود متتابعة من الله جَلَّ وَعَلَا، لكن نحن نحتاج إلى مراجعة هذا القرآن، نحتاج إلى التفكر فيه، نحتاج إلى تأمل ما في هذا الكتاب.

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يربطني وإياكم بالقرآن، وأن يجعلني وإياكم ممن يقوم به في الليل ويعمل به في النهار، كما أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يجعلنا جميعًا من أهل الجنان ومن أهل المراتب العلا في تلك الدار، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرزقنا رفقة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أسأل الله أن يغفر لوالدينا وأن يسكنهم فسيح جناته، وأن يرفع درجاتهم عنده، كما أسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجزي باني هذا المسجد خير الجزاء، وأن يغفر لوالديه وأن يجزيهم خيره، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يوفق ولاة أمرنا لكل خير، وأن يجعله من أسباب الهدى والتقى والصلاح والسعادة للناس أجمعين.

هذا والله أعلم، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

